The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 2, Issue 1, January - March 2024, Page No: 76-86
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.63 ISI 2023: 0.383

تمثيلات نسق علم أصول الفقه في النقد اللغوي العربي القديم
مقاربة نسقية

د. مصطفى نكي *
أستاذ اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية والتكوين، المغرب

Representations of the system of jurisprudence in ancient Arabic linguistic criticism

Dr. Mustapha Nekki *
Secondary Qualification Education, Ministry of Education and Training, Morocco

*Corresponding author | mt.nekki@gmail.com | *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-11-21 | تاريخ القبول: 2024-01-12 | تاريخ النشر: 2024-01-20

الملخص

يتلخص هذا البحث في مسألة الكشف عن دور منهج علم أصول الفقه ومفاهيمه في تأسيس النقد اللغوي العربي القديم بوصفه حقلا معرفيا بدأت نشأته في كنف العلوم اللغوية كعلم النحو والصرف والإعراب وغيرها من علوم العربية التي تأسست في عصر التدوين، إذ لا يخفى على جمهور دارسي التراث النقدي العربي القديم علاقته الوطيدة بالعلوم اللغوية التي ارتبطت بدورها بالعلوم الشرعية نحو أصول الفقه و الحديث و التفسير، مما دل دلالة واضحة على أن الحقول المعرفية في تراثنا الفكري والعلمي العربي الإسلامي لم تكن منعزلة بعضها عن بعض، وإنما كانت تربط بينها علاقات تداخل وتفاعل وتكامل أفقي وعمودي على مستوى أنساقها المعرفية المتعددة.

وقد خلص البحث إلى تأكيد الدور الذي لعبه نسق علم أصول الفقه في تأسيس النقد اللغوي العربي القديم من خلال التمازج الذي حصل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية في عصر التدوين في إطار التفاعل والتكامل الحاصل بين جل الحقول العلمية والفكرية العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: النسق المعرفي الكلي، النقد اللغوي، علم أصول الفقه، عصر التدوين، علاقات، الحقول المعرفية.

Abstract

From this research, we aim to reveal the role of the method of the science of jurisprudence and its concepts in establishing the ancient Arabic linguistic criticism as a field of knowledge that began its inception in the confines of the linguistic sciences such as the science of grammar, morphology, parsing and other Arabic sciences that were established in the era of codification. Some, but they were linked by relationships of overlapping, interaction and horizontal and vertical integration at the level of multiple cognitive formats.

The research concluded by confirming the role played by the discipline of jurisprudence in establishing ancient Arabic linguistic criticism through the mixing that occurred between the legal sciences and the linguistic sciences in the era of

codification within the framework of the interaction and integration that occurred between most of the Arab-Islamic scientific and intellectual fields.

Keywords: overall cognitive system, linguistic criticism, the science of jurisprudence, the era of blogging, relations, cognitive fields.

مقدمة:

كان لأنساق العلوم الشرعية الإسلامية دور كبير في نشأة وتطور النقد اللغوي العربي القديم، وكان أثرها واضح في تأسيس نسقه المعرفي وضوح الشمس، وفي تكوين خطابه على مستوى البناء المفاهيمي، والممارسة التطبيقية. ومن المعروف أنه في عصر التدوين تشكل عند المسلمين الإطار المرجعي الفكري لعلوم اللغة العربية خاصة، والعلوم الدينية عامة، بما فيها الشرعية مثل أصول الفقه والحديث والتفسير، حيث تلاقحت كل الأنساق المعرفية لهذه العلوم فيما بينها، وتكامل بعضها مع بعض في بؤرة معرفية وفكرية واحدة، إلى مدى يستحيل أن نعثر في الدوائر المعرفية والعلمية للعلوم الإسلامية قاطبة على نسق معرفي أو علمي خالص ونقي، فإذا كانت العلوم اللغوية بكل فروعها منذ أول لحظة من عصر التدوين أمدت النقد اللغوي بمفاهيم ومصطلحات علمية، وأسس نظرية لغوية محكمة من جهة، وأسهمت في بناء وتشييد أنساق العلوم الشرعية من جهة أخرى، فإن العلوم الشرعية بدورها أمدت النقد اللغوي بمفاهيمها النظرية، وأدواتها المنهجية التي طورته أيما تطوير، ولأن المجال لا يتسع للحديث عن كل العلوم الشرعية، اقتصرنا في هذا البحث على علم أصول الفقه ، وأرجأنا الكلام عن العلوم الأخرى إلى مقال آخر بإذن الله تعالى.

1-النقد اللغوي ونشأة علم أصول الفقه:

لقد نشأ النقد اللغوي القديم في رحاب العلوم اللغوية التي عاصرت نشأة العلوم الشرعية في القرن الثاني الهجري أثناء عصر التدوين، فتأثر هذا النقد بنشأة هذه العلوم، لأنها تمثل برمتها نسقا معرفيا تأسس على أسس الرؤية الدينية التي كانت الموجه الرئيس لتلك العلوم، ومن ثمت لكل ممارسة معرفية أو فكرية في ذلك العصر، بما في ذلك نقد الأدب بشكل عام، والشعر بصفة خاصة، ولذلك أدرك علماء اللغة ونقاد الشعر في القرن الهجري الثاني قدسية المهمة التي أوكلت إليهم، جنبا إلى جنب مع علماء الشريعة من جهة، فالمسألة ليست تدوينا للغة و الشعر فحسب، ولا مجرد نقد له، لما يصب في مصلحة الحفاظ على لغة الوحي، بل الأمر تجاوز ذلك إلى تأسيس هوية الأمة العربية الإسلامية ، وبناء نسقها المعرفي والفكري العام، وتحديد أصولها ومرجعياتها وفق الركائز الدينية والشرعية المنصوص عليها في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف، ومن المعلوم أن تدوين اللغة و أشعار العرب و كلامها كانت الغاية منه خدمة العقيدة و الشريعة الإسلامية على حد سواء، فمن العلوم التي تداخلت مع علوم العربية ورواية الشعر علم أصول الفقه. فكان لعلماء أصول الفقه بداية من الإمام محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رحمه الله (ت204ه) دور عظيم في إرساء منهج إسلامي علمي ثابت، ينم عن عبقرية فكرية لا مثيل لها.[1] فعلم أصول الفقه علم يبحث في المسائل العملية لا في المسائل الاعتقادية، فنتج عن ذلك وضع منهج البحث الإسلامي لدى علماء أصول الفقه، وأصول الفقه هو مجموع طرق الفقه من حيث إنها على سبيل الإجمال وكيفية الاستدلال بها و حالة المستدل بها.[2] ويجمع مؤرخو علم الأصول على" أن أول محاولة لوضع مباحث الأصول كعلم نجدها عند الشافعي، وأنه لم يكن قبل هذا العهد ثمت محاولات لوضع منهج أصولي عام يحدد للفقيه الطرائق التي يجب أن يسلكها في استنباط الأحكام".[3] فعلم الأصول هو بمثابة منهج استدلالي ينظر في الأدلة الشرعية، ويدرس قواعد استنباطها، ولذلك فإن هذه العلوم لم تكن منعزلة بعضها عن بعض، لأن علوم اللغة العربية كانت لها علاقة وثيقة بالعلوم الشرعية، فأهم مصادره مكتوب بهذه اللغة، وهما القرآن و السنة النبوية، كما أن كل اشتغال في دائرة الشريعة الإسلامية يستوجب الإحاطة

[1]-مناهج البحث عند مفكري الإسلام و نقد المسلمين المنطق الأرسطي: علي سامي النشار، دار الفكر العربي، ط1،1947، مصر،ص4.
[2]- نفسه، ص55.
[3]- نفسه، ص56.

بعلوم العربية، وبخاصة في مجال استنباط الأحكام الشرعية، لأن علوم العربية بكل فروعها هي علوم آلة بالنسبة للعلوم الشرعية، ولا عجب من ذلك، فإن الشافعي عاصر الخليل وتلميذه سيبويه صاحب "الكتاب"، ولذلك لا يمكن تجاهل تأثير منهج اللغويين والنحاة في "الرسالة" شكلا ومضمونا.[4]

وفي هذا السياق قال أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله:" وأيضا- فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"،[5] ونقل خبرا عن عمر رضي الله عنه أنه كتب كتابا إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه:" أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن،

فإنه عربي"، وزاد كلاما آخر لعمر رضي الله عنه قال فيه:" تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا فرائضكم فإنها من دينكم"، فهذا الذي أمر به عمر رضى الله عنه من فقه العربية و فقه الشريعة.[6] وبهذه الصيغة أصبحت اللغة العربية لغة الدين عند المسلمين عقيدة وشريعة، فكل فهم للدين وتعاليمه ينبني على المعرفة باللغة العربية، والتفقُّه في علومها. ويربط أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(467 ه-538 ه) بين العربية و العلوم الإسلامية كلها، وأنها تفتقر إلى اللغة العربية وهو يرد على أتباع الشعوبية الكارهين لكل ما هو عربي، فقال ردا عليهم:" (...) وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهها و كلامها، وعلمي تفسيرها و أخبارها إلا و افتقاره إلى العربية بيّنٌ لا يدفع، ومكشوف لا يتقنَّع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه مبنيا على علم الإعراب، و التفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه و الأخفش و الكسائي و الفراء، وغيرهم من النحويين البصريين و الكوفيين"،[7] وهنا يوضح الزمخشري ضرورة الإلمام، على سبيل المثال، بالإعراب في تعاطي تأويل كلام الله عز وجل، فقال:" هذا وإن الإعراب أجدى من تفاريق العصا، وآثاره عديد الحصى، ومن لم يتق الله في[8] تنزيله، فاجترأ على تعاطي تأويله وهو غير معرب، ركب عمياء، وخبط خبط عشواء، وقال ما هو تقوُّلٌ وافتراء و هراء، وكلام الله منه براء".

وقد أدرك أهل علم الأصول دور اللغة في دراساتهم وأبحاثهم الفقهية، على مستوى منهجهم التشريعي، حيث إن كثيرا من الخلافات المذهبية والكلامية والفقهية راجع إلى اللغة، بفعل ما فيها من فائض في الألفاظ، وما تتوافر عليه هذه الألفاظ من فائض في المعنى.[9]

إن هذه الشواهد التي سقناها في هذا السياق، تبين بدون شك مدى ارتباط العربية، وكل علومها من نحو وصرف وإعراب وأحوال الألفاظ و المعاني، ودلالتها على ما دلت عليه في كلام العرب، بعلم الأصول، لأن مداره هو القرآن الكريم و حديث رسول الله عليه الصلاة و السلام، فقد بيَّنا من كلام الإمام الشافعي في رسالته أن الله خاطب العرب في كتابه بلغتهم على اتساع معانيها، وتنوع أساليبها وتعابيرها، وتباين طرق دلالاتها في إطلاق العام وإيرادٍ به تارة العموم و تارة الخصوص، و التعبير عن المعنى تارة بالعبارة و تارة بالإشارة، وتسمية الشيء الواحد بأسماء متعددة، أو الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، وغير ذلك من أسرار و دقائق هذه اللغة التي لا يفهمها إلا أصحابها ممن خوطب بها في القرآن، فلزم كل من أراد أن يتصدى لهذا الكتاب وكلام من نزل عليه، وأوحي إليه أن يتعلم تلك الأسرار و الدقائق. وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نتصور انعزال النقد اللغوي عن هذا التكامل المعرفي بين علوم العربية وعلم أصول الفقه منذ القرن الهجري الثاني، وبما أن النقد اللغوي ابن شرعي لعلوم اللغة، فلابد ان يتأثر بنتائج علم الأصول، فما هي طبيعة العلاقة بين النقد اللغوي وعلم الأصول؟

4-تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي): د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط8،2002، بيروت، ص102-103.

5 - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق ناصر عبد الحكيم عقل، دار اشبيليا، ط2،1998، الرياض، ج1، ص527-528.

6-نفسه، ج1، ص528.

7 - المفصل في علم العربية: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق فخر صالح قدارة، دار عمار، ط1،2004، عمان، ص30-31.

9- تكوين العقل العربي، ص75.

1-1-أثر علم أصول الفقه في النقد اللغوي:

استفاد النقاد اللغويون من العلوم الشرعية، و من مناهجها مثل علم أصول الفقه لوجود علاقة تربط بين علوم اللغة والعلوم الشرعية، كما أن علماء الأصول كانوا في حاجة إلى علوم اللغة لوجود مباحث لغوية تتعلق بطبيعة اشتغالهم المعرفي، ويكشف عن هذه العلاقة تاج الدين بن عبد الكافي السبكي(ت756ه) وهو ينقل عن شيوخه، قال:" أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: قرأت على أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384ه)، قال: سمعت ديوان ذي الرمة على أبي بكر بن دريد (ت321ه)،وعن أبي حاتم، وعن الأصمعي، وعن أبي عمرو بن العلاء، عن ذي الرمة"،[10] هذا دليل واضح على حاجة علماء الأصول إلى حفظ أشعار العرب لمعرفة خصائص كلامهم، وفهم طرق تصرفهم في لغتهم، فذلك جزء مما يقوم عليه علم الأصول، وما يلفت الانتباه في كلام السبكي هو ورود اسمي الأصمعي و أبي عمرو بن العلاء في سلسلة السند، واتصالهما مباشرة بالشاعر ذي الرمة، ويبين هذا دور علماء اللغة في نقل كلام العرب و أشعارهم، وبخاصة تلك التي يحتج بها، وعَدِّ هؤلاء العلماء من الرواة الثقات الذين يثق العلماء الآخرون في رواياتهم، وهذا يكشف بوضوح عن اتصال علماء أصول الفقه بعلماء اللغة ورواة الشعر من جهة، وعن علاقة علم أصول الفقه بعلوم اللغة، و ضرورة إحاطة أهل أصول الفقه بمعرفة لغة العرب وأحكامها من جهة أخرى، ولذلك فمن شروط الاجتهاد عند علماء الأصول منذ الشافعي رحمه الله الإلمام بعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وإعراب، ومعرفة أساليب العرب في كلامهم من حقيقة ومجاز، وحذف وزيادة و تقديم و تأخير، والإحاطة بمواضعه وطرقه من صريح كلام وظاهره، ومجمله ومبينه، وعامه وخاصه،[11] بل أكثر من ذلك، يوجد تعريف اصطلاحي لكلمة "البيان" عند الشافعي في رسالته، حيث قال:" البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول متشعبة الفروع، فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن بلسانه".[12]

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني(329ه- 395ه)رحمه الله إن كلام العرب منه أصل وفرع، فالفرع مثل معرفة الأسماء و الصفات، كقولنا:" رجل" و"فرس" و" طويل" و"قصير"، أما الأصل، فالقول على موضوع اللغة وأوليتها و منشأها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، وما لها في الافتنان تحقيقا و مجازا.[13] و الأفضل في هذا الأمر الجمع بين الأصل و الفرع، لأن بهما يعلم خطاب القرآن و السنة النبوية، وعليها يعول أهل النظر والفتيا.[14] فابن فارس هنا يبين أن معرفة كلام العرب و مخاطباتها يعين أهل النظر و الفتيا في محكم القرآن و السنة، لأن كلام العرب أكثر من أن يحصر، ويشير في هذا السياق إلى أن اللغة العربية لها شرفها و قدسيتها، فهي لغة توقيفية عنده بدليل قوله تعالى:(وعلم آدم الأسماء كلها) (البقرة/31)، ولأن الله عز وجل خص اللسان العربي بالبيان، فكانت سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه.[15] وقد جاء في القرآن الكريم آيات تبين قيمته كقوله تعالى:(إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)(الزخرف/3)، فبينت الآية عربية القرآن، وفيها دعوة صريحة إلى فهمه و دراسته فكريا وعقليا.

ويشير أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله (ت276ه) إلى فضل العربية وأساليبها في فهم كلام الله تعالى فقال عن ذلك:" و إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب".[16]وقد وضح الإمام الشافعي بذاته أهمية علاقة القرآن الكريم بلغة العرب، وأن ذلك من الأمور التي لا غنى عنها في علم الأصول، فقال:" وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه و تفرقها، ومَنْ عَلِمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها".[17] ثم أكد ضرورة

---

[10] -الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي): تاج الدين السبكي، تحقيق أحمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط1 ،2004، الإمارات العربية، ص12-13

[11]- نفسه، ص29.

[12]- الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي،1940، القاهرة، ص20.

[13] -الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، 1993، بيروت، ص33-34

[14]- نفسه، ص34.

[15]- نفسه، ص36.

[16]- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء العلوم، 1954، القاهرة، ص12.

[17]- الرسالة، ص50.

تعلم المسلمين لسان العرب كل حسب جهده، فقال:" فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إلاه إلا الله، وأن محمدا عبده و رسوله، ويتلو به كتاب الله(...)".[18]

وكان من دوافع تدوين اللغة، و ما ارتبط بها من أشعار العرب و حكمها و مأثور كلامها حاجة العلوم الشرعية إليها، فكان الأصل هو خدمة الدين بشكل عام، "وأن جميع العلوم التي نقلت فيما بعد، إنما كانت بباعث ديني(...) و ينطبق هذا على الجرح والتعديل، وهي تهدف جميعها خدمة أصلي الإسلام: القرآن الكريم و السنة المطهرة، والحفاظ عليهما".[19] ولذلك فإن ما ميز ارتباط العلوم الشرعية بالعلوم اللغوية، ومن ضمنها تدوين اللغة، ودراسة ما فيها من الغريب، وتوثيق نصوصها الأدبية في بداية نشأة العلوم الشرعية هو وضع أساس لقوانين تفسير الخطاب القرآني، وهو في مقدمة البيان العربي،[20] قبل الانتقال إلى البحث في قوانين إنتاج ذلك الخطاب المتمثل في وضع علم البلاغة العربية، وأن الاجتهاد هو من أصل من أصول الفقه، ومن وطرق الوصول إلى البيان الشرعي، سواء البيان المتمثل في النص الظاهر القطعي الدلالة، أو البيان الكامن في ما ورد على صيغ مخصوصة من التعبير في حاجة إلى بذل مجهود للوصول إلى المعنى المراد، وهذا ما يبين سبب ارتباط البحث الأصولي بالبحث في أساليب اللغة العربية.[21]

ولم يستبعد د. محمد عابد الجابري رحمه الله تأسيس علماء الأصول علومهم على منوال علوم اللغة، واستمدادهم من مناهج علماء اللغة، ومن الآليات الذهنية التي اعتمدوا عليها، والمفاهيم التي استعملوها، أو على الأقل اشتقاقهم طريقتهم في العمل منها، وذلك لم ينف في فترة لاحقة أن تكون العلوم الشرعية مثالا ونموذجا لعلوم اللغة.[22]

وقد بيَّن اللغويون أن خطأ من أخطأ في علوم الشرع إنما مصدره هو عدم معرفة دقائق اللغة العربية و أسرارها، قال أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله(ت392ه): "وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه و استخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة و النار من حواشيها و أفنانها".[23] و شدد أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المارزي رحمه الله (ت536ه) على ضرورة إلمام علماء الأصول بقواعد اللغة العربية و دلالة الصيغ، وهي قوانين عامة يبحثها اللغويون في مبادئ اللغات، قال: "والنَظَّار في الفقه لا يكتمل نظره دون أن يكون عارفا بجزء من أجزاء اللغة"، ثم يضيف رابطا بين الإحاطة بعلوم العربية وبين أحكام الشريعة:" فأما ما يتعلق بالأحكام الشرعية، ومستند الأحكام فيه ألفاظ ما، فمتى غُيِّرت و قلبت اختلطت الأحكام، وفسد النظام، واندرست من الشريعة الأعلام".[24] ووصل اهتمام علماء الأصول بضوابط اللغة العربية وقواعدها إلى التقديم لمصنفاتهم الفقهية بمباحث لغوية وبلاغية حول نشأة اللغة وأصلها وأقسامها، وعلاقة الألفاظ بالمعاني، ودلالتها من حقيقة و مجاز وغير ذلك من القضايا اللغوية التي درجوا على بحثها لما لها من علاقة باستنباط الأحكام الشرعية، فمن هذا المنطلق لا يمكن أن ننكر عدم تفاعل نقاد الشعر العربي القديم، وهم لغويون بهذه الأصول العلمية الشرعية التي تأسست في تلك الفترة التاريخية، لاسيما أن دراسة الشعر القديم الجاهلي منه والإسلامي دراسة لغوية كان الهدف منها تأصيل اللغة العربية، وتحديد إطارها المرجعي زمانيا و مكانيا، لأن أبحاث اللغويين إنما جاءت في إطار النسق المرجعي الديني المهيمن على نشأة العلوم اللغوية و الشرعية، وذلك ما أكده د. أمجد الطرابلسي في قوله: " لقد انشغل هؤلاء (يقصد علماء الشعر القدماء) على الخصوص بتوثيق الألفاظ القديمة و تحديدها، في وقت هُجِر فيه جزء من الألفاظ التي أسعفتهم كثيرا في دراسة النص القرآني، وهو الذي تغرف منه الحضارة الجديدة، إن دراسة هذا النص المقدس هي- بلا ريب السبب الأول في هذا الارتداد نحو الماضي. ومع ذلك فمن الثابت أنه تولد فيما بعد عن هذه الحاجة الدينية- بحث جاد لا يراد من ورائه إلا خدمة هذا

---

[18]- نفسه، ص48.

[19]- المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل: د. فاروق حمادة، دار المعرفة للنشر، ط2، 1989، الرباط، ص25

[20]-بنية العقل العربي (نقد العقل العربي2): د. محمد عبد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1986،1، بيروت، ص21-22.

[21]- نفسه، ص22.

[22]- تكوين العقل العربي، ص75.

[23]-الخصائص: أب الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمود علي النجار، دار الهدى للطبع والنشر، ط2، بيروت، ج3، ص245.

[24] - إيضاح المحصول من برهان الأصول: أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المارزي، تحقيق عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص147.

التراث نفسه"،[25] لقد كان نقاد وعلماء الشعر القدماء جزءً لا يتجزأ من النسق الديني والفكري والمعرفي العربي الإسلامي، ففي خضم تكَوُّن هذا النسق كانوا يشعرون بقدسية مهمتهم، وشرف ما أنجزوه على مستوى تدوين اللغة وتنقيتها من الشوائب، ودراستها دراسة علمية من أجل الحفاظ عليها، و ضمان استمراريتها. فالشعر القديم بالنسبة لهم هو وثيقة قديمة لتدبر القرآن وتفسيره، وفي الوقت نفسه هو مجد من أمجاد السلف في نظرهم، وهنا تكامل مجهود الرواة ومجهود النقاد، "ولذلك فإن العلماء الرواة، حين أذاعوا في الناس ما استطاعوا إنقاذه من الأثار القديمة، قد يسروا فيما بعد مهمة النقاد، وهو ما شكل النتيجة غير المباشرة لجهودهم. لكن النتيجة المباشرة لهذه الجهود تمثلت في تنشيط النقد اللغوي"،[26] ولا غرابة أن يتأسس هذا النقد اللغوي، مثل العلوم الشرعية في جانب منها، على ما في النموذجين الشعريين الجاهلي والإسلامي من مادة لغوية خصبة، والنظر إليهما بوصفهما الممثلين الشرعيين لعصر الاحتجاج، كما لاشك أن لا يتأثر هذا النقد بكل هذه العوامل الدينية والفكرية التي نشأ في خضمها، وتكَّون في دوائرها العلمية، وأخذ من مفاهيمها وأساليبها ومناهجها.

1-2- النقد اللغوي بين علم أصول الفقه وعلم أصول النحو:

وفي إطار هذا التداخل النسقي المعرفي والعلمي الذي هيمنت عليه البواعث الدينية نلمس تماثلا بين علم النحو وعلم أصول الفقه، فلا شك أن النقاد اللغويين الذين كان فريق منهم من علماء النحو، استعانوا بمعرفتهم النحوية في دراسة الأشعار ونقدها، وإصدار أحكام نقدية لإثبات صحة ضوابطهم النحوية التي استنبطوها من لغة العرب في ضوء الرجوع إلى القرآن الكريم، لكن تأسيس هذه المعرفة النحوية يحتاج عند هؤلاء النقاد إلى ضوابط نظرية ينطلقون منها لاستنباط قواعدهم النحوية من كلام العرب. ولذلك أطلق النحاة في دائرة علم النحو مصطلح" علم أصول النحو" اقتداء "بعلم أصول الفقه"، وقد عرفه جلال الدين السيوطي بأنه " علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية، من حيث هي أدلته و كيفية الاستدلال بها وحال المستدل بها"[27] على منوال تعريف الزركشي (ت756ه)" أصول الفقه" في قوله:" وفي الاصطلاح: مجموع طرق الفقه من حيث إنها على سبيل الإجمال، وكيفية الاستدلال، وحالة المستدل بها".[28]

ثم بين جلال الدين السيوطي أقسام الحكم النحوي عند النحاة، فهي تماثل التي عند الأصوليين، و تنقسم إلى واجب و ممنوع، و حسن و قبيح، و خلاف الأولى، و جائز على السواء، كما أن أدلة النحو أربعة، ذكر السيوطي ثلاثة منها عند ابن جني، وهي السماع و الإجماع و القياس، و أخذ الدليل الرابع من أبي البركات بن الأنباري، ويسمى " استصحاب الحال" في قول ابن الأنباري:" أدلة النحو ثلاثة: نقل و قياس و استصحاب حال"، ثم عقب عليه السيوطي بقله: " فزاد الاستصحاب، ولم يذكر الإجماع، فكأنه لم ير الاحتجاج به في العربية"، ثم أضاف، فقال:" وكل من الإجماع و القياس لابد له من مستند من السماع كما هما في الفقه كذلك".[29] فأصبحت أربعة أدلة أصول في حجيتها و طرق البحث عنها، فتحصل منها السماع أو النقل، ويتمثل في القرآن والسنة وكلام العرب، والإجماع، والقياس، واستصحاب الحال، وورد ذكر الأدلة الأخرى عند السيوطي مثل الاستحسان والاستقراء، هذا ما يوضح أثر مباحث علم أصول الفقه في النحو من الناحية النظرية، والتقاء مرجعيات علم النحو بالبحث المنهجي عند علماء الأصول، وبخاصة في مصنفاتهم ، وأشار ابن جني إلى أن أصحابه اقتبسوا العلل من أحد أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان مرزبان الكوفي رحمه الله(ت150ه) وهو محمد بن الحسن الشيباني رحمة الله عليه (ت189ه)، قال:" وكذلك كتب محمد بن الحسن رحمه الله إنما ينتزع أصحابنا منها العلل، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق".[30] كما أن أبو البركات بن الأنباري رحمه الله بنى كتابه " لمع الأدلة" على منوال كتب علم الأصول، بل إنه وضع أبوابه مماثلة لأبوابه، وقال يعرف علم أصول النحو:" أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه و فصوله،(...) وفائدته التعويل في إثبات

---

[25]- نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة، د. أمجد الطرابلسي، ترجمة: إدريس بالمليح، دار توبقال للنشر، ط1، 1993.ص23-24.

[26]- نفسه، ص24.

[27]- الاقتراح في علم النحو: السيوطي، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط2006،2، مصر، ص21.

[28] -البحر المحيط في أصول الفقه، ص24.

[29]- الاقتراح في علم النحو، ص 21-22.

[30]- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص163.

الحكم على الحجة و التعليل"،[31] وكتابه" الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين" مرتب على ترتيب الخلاف الفقهي بين الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة، وذكر في مقدمته أن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين المشتغلين بعلم العربية طلبوا منه أن يلخص لهم كتابا في علم العربية يشتمل على أشهر مسائل الخلاف بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة، لكن على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، ويكون أول كتاب ألف وصنف على هذا الترتيب، وأنه توخى الإجابة على وفق مسائلهم.[32] ولهذا نجد عند النحاة بحوث تماثل التي نجدها عند أهل الأصول حول الأحكام النحوية وأدلتها وطرق استنباطها، ويعني ذلك تداخل نسقي العلمين فيما بينهما وتكاملهما، وفي هذا السياق قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني رحمه الله (ت478ه):" فأصول الفقه مستمدة من الكلام (يقصد علم الكلام) والعربية والفقه"، ثم استرسل فقال:" ومن مواد أصول الفقه: العربية؛ فإنه يتعلق طرف صالح منه بالكلام على مقتضى الألفاظ، ولن يكون المرء على ثقة من هذا الطرف حتى يكون محققا ومستقلا باللغة العربية"،[33] وعلى هذا المنوال نخلص إلى وجود علاقة وطيدة بين علوم اللغة العربية، وبخاصة علم النحو، و علم أصول الفقه من حيث غايتهما ومنهجيهما في بناء القواعد النظرية والعملية.

2- من القياس الأصولي إلى القياس النحوي:

2-1- نشأة القياس النحوي:

يراد بالقياس النحوي نفس ما يراد به عند علماء الأصول، وهو قياس الأحكام، ويعرفه ابن الأنباري بأنه حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع،[34] وفائدة هذا القياس هي إثبات الحكم على الحجة والتعليل. وهذا التعريف يتطابق مع تعريف الأصوليين للقياس الشرعي، والقياس نحويا كان أم أصوليا، فهو يقوم على اطراد حكم، وانتقاله من أصل إلى فرع لعلة واضحة استلزمت ذلك الانتقال لشبه، فيعطى الملحق حكم ما ألحق به. وللقياس النحوي الأركان نفسها التي للقياس عند أهل الأصول وهي: المقيس(الفرع) المقيس عليه(الأصل) والجامع بينهما(العلة) والحكم،[35] قال ابن الأنباري:" هو إلحاق الفرع بالأصل لجامع، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع(...)، ولابد لكل قياس من أربعة أشياء: أصل وفرع وعلة وحكم".[36] والنحو كله قياس، قال ذلك ابن الأنباري ردا على من أنكر القياس في النحو:" اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب".[37] ويلتقي علماء أصول النحو مع علماء أصول الفقه في الغاية من وضع القياس، فإن هدف النحاة من وضع أحكام اللغة وضوابطها هو دراسة النص القرآني على الوجه الصحيح، وفهمه فهما مقبولا من جهة، والحفاظ على اللغة العربية من الضياع. و بذلك تكون الضوابط والأحكام المستنبطة من كلام العرب ولسانهم الفصيح أداة تسعف المسلمين في فهم كلام الله عز و جل، وتجنبهم الاشتباه في طرق إدراك ذلك.

وعندما وجد النحاة أنفسهم أمام معضلة الاطراد، وذلك لتمييز ما يطرد وما لا يطرد من كلام العرب، قاموا بجمع المادة اللغوية واستقرائها، ولذلك حددوا مصادر هذه المادة وفق معايير وضوابط نظرية وعملية ، ومن ذلك الاعتماد على الرواية والسماع، والأخذ من أفواه أعراب البوادي في الحجاز ونجد وتهامة، ومن فصحاء الحضر، وقد كانت الرواية والسماع في البداية يقتصران على الشعر، ثم شملت في ما بعد ما سمع عن العرب من أمثال وخطب، منها ما دوَّنه العلماء الأوائل في مدوناتهم ومروياتهم، وما دونه النحاة المتقدمين في مصنفاتهم في خضم تناولهم للظواهر اللغوية، والتقعيد لها، فعمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه أخذ اللغة عن أستاذه يونس بن حبيب النحوي معاصر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه) رحمة الله عليهم، الذي رحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا، وقد نقل عنه سيبويه في كتابه

---

31 - لمع الأدلة في أصول النحو: أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2،1971، بيروت، ص80.

32 - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ج1، ص6.

33 - البرهان في أصول الفقه(مخطوط محقق): إمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، جامعة قطر،ط1، 1399ه،قطر،ج1، ص84.

34- لمع الأدلة، ص80.

35- نفسه، ص93.

36- نفسه، ص93.

37- نفسه، ص95.

آراء تبلغ المائتين، ويأتي اسمه مقرونا باسم الخليل في الكتاب، ويعتمد سيبويه نقل يونس بن حبيب وروايته عن العرب اعتمادا يلفت النظر إليه، وجل ما أخذه عنه كان في شواهد اللغة، ومن المعروف أن الخليل اعتمد في تأصيله لقواعد النحو على قاعدة عريضة من السماع، فرحل إلى مواطن العرب الفصحاء في الجزيرة العربية يحدثهم ويشافههم، ويأخذ منهم اللغة و الشعر، وقد مكنته تلك الثروة اللغوية من اكتساب سليقة لغوية، وكان اعتماد الخليل وسيبويه على المطرد من كلام العرب،" فقد سجلا الصورة الشائعة على ألسنة العرب، واعتمدا عليها في تقرير القاعدة، مع الحرص على الإشارة إلى اللهجات المختلفة، وتسجيل ما جاء شاذا على ألسنتهم".[38] أما موقفهم من رفض الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله، فكان ذلك مخافة أن يكون مصنوعا، أو لمولد، أو لمن لا يوثق في كلامه، فلا بد من تخريج الأبيات الشعرية، ومعرفة ما فيها من التحريف و التصحيف، وتوثيق الشاهد ليعرف قائله، ويدفع احتمال ضعفه،[39] وساق عبد القادر بن عمر البغدادي مثالا على عدم حجية بيت لا يعرف قائله، قال:" قال أبو جعفر بن النحاس في التعليقة: أجاز الكوفيون إظهار(أنْ) بعد كي، واستشهدوا بقول الشاعر:

أرَدت لِكيْما أن تطيرَ بقِرْبتي فتتْرُكها شنًّا ببيداء بلْقعِ.

قال: والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله، ولو عرف لجاز أن يكون من ضرورة الشعر. وقال أيضا: ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام في خبر (لكن)، واحتجوا بقوله: (ولكنني من حبها لعميد)، والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله، ولم يذكر منه إلا هذا، ولم ينشده أحد ممن وثق في اللغة، ولا عزي إلى مشهور بالضبط والإتقان". ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد، اعتمد عليها الخلف بعد السلف، بما فيها أبيات جهل قائلوها، وما عيب بها ناقلوها[40].

وعلى هذا النحو كان التفاعل بين علم النحو، وعلم أصول الفقه في تطبيق القياس الشرعي في دراسة اللغة العربية، ووضع أحكام النحو العربي صيانة وحفظا لهذه اللغة التي نزل بها كلام الله عز وجل، وإعمال هذه الأحكام والقواعد اللغوية في نقد الشعراء، وتنبيههم إلى الأخطاء اللغوية، وبيان الصواب في اللغة لاحتذائه واتباعه، وكان ذلك من صميم منهج النقاد اللغويين في نقد الشعر.

2-2- نشأة النقد اللغوي النحوي:

كان علم النحو من العلوم اللغوية التي أعملها اللغويون في نقد الشعر وتقويم الشعراء، فبعد أن طبقوا أدوات علم أصول الفقه، واستعانوا بمنهجه في القياس، وأعملوا مصطلحاته في بناء علمهم في نحو اللغة، أُفسح أمامهم الميدان لينتقدوا الأخطاء النحوية في الأشعار، ويردون الشعراء إلى الصواب، لأن الجانب اللغوي عند هؤلاء يعد أساسا، في مقابل القيمة الفنية، فالنقد اللغوي يجعل السلامة اللغوية من أهم معايير الحكم على جودة النص الشعري، ولذلك لم يكن شعر المحدثين حجة في نظر النحاة لتثبيت لغة القرآن والعقيدة، وحينما يتعلق الأمر ببعض الشعراء الإسلاميين عند الأصمعي، فإن أحكامه تجاههم تقف عند حدود من حاز منهم ثقة علماء اللغة، واعتبر حجة.[41] وما أن وضع النحاة قواعد العربية، وحددوا أحكامها حتى راحوا يحاسبون الشعراء، ويجبرونهم على الخضوع لتلك القواعد و الأحكام، كأنهم فقهاء اللغة والعالمين بأسرارها ودقائقها، والمتتبع لما صدر من نقد لغوي عن هؤلاء النقاد يتبين أنهم كانوا يهتمون بسلامة التراكيب والأساليب، والسليم منها ما وافق قواعدهم وأقيستهم النحوية، وينتقدون الألفاظ من حيث ما ينقاس ومل لا ينقاس، ويحصون أخطاء الشعراء من جهة الإعراب والاشتقاق، وينبهون الشعراء إلى الخلل في الوزن والقافية، وما ينتج عنه من الضرورة المخلة ببراعة الشاعر وموهبته في نظم الشعر، وقد نتج عن هذه الممارسة النقدية ما يمكن أن يصطلح عليه "النقد النحوي"، وهو نقد قائم على مواجهة فساد اللغة الشعرية في النحو والصرف، وتمثل ذلك النقد في الأخذ والرد بين النحاة وبين الفرزدق.[42] أما المعاني، فكانوا يلحون على معاني القدماء وأخيلتهم،[43] ومن النحاة الذين أخضعوا الشعر لمقاييسهم النحوية

---

[38] - أصول النحو، دراسة في فكر الأنباري: محمد سالم صالح، دار السلام، مكتبة لسان العرب، ط2006،1، مصر،47-48.

[39] -خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1،ص15.

[40]- نفسه، ج1، ص16.

[41]- نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري، ص66-67.

[42]-تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري: د. داود سلوم، مكتبة الأندلس، مطبعة الإيمان، 1969، بغداد، ص120.

[43]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب: عبد العزيز عتيق، دار النهضة المصرية، ط1972، بيروت، ص320.

عبد الله بن مسلم بن هرمز(ت148ه)وعبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117ه)،وعيسى بن عمر الثقفي(ت149ه) وعنبسة بن معدان الفيل وهم من نحاة البصرة، ومنهم الأصمعي وهو أسد الشعر والغريب والمعاني، وكان أعلم بالنحو.[44] " وفي آخر العصر الأموي ظهر النحو، وجدَّ بعض علمائه في وضع قواعده، وكان مما يهمنا هنا أن علماءه بدأوا ينقدون الشعر على نمطهم و أسلوبهم، بدأوا نوعا جديدا من النقد هو أن الشاعر أخطأ نحويا، ولم يجر في شعره على منحى العرب في الإعراب".[45] وقد نشأ النقد اللغوي مرافقا لعلم النحو، والنقد النحوي جزء من النقد اللغوي، فهو يرتبط بلغة النص الشعري أو النثري، قال د. نعمة العزاوي:" فالظاهرة الأدبية إذن، ظاهرة لغوية في جوهرها، لا سبيل إلى التأتي إليها إلا من جهة اللغة، ومعنى ذلك أن النقد اللغوي دون سواه من فنون النقد الأخرى، هو الذي يلائم هذه الظاهرة".[46] علما أن الناقد اللغوي يعتمد على نوعين من المقاييس، منها مقاييس تبحث عن مواضع الجودة و الرداءة في لغة النص، ومقاييس تهتم بمواضع الخطأ في تلك اللغة، وترشد إلى الصواب، وهناك تكامل بين هذه المقاييس، فالنقد اللغوي يشمل اللفظة المفردة و التعقيد والمعنى الذي يتكون من تركيب الحروف مع الأفعال، ويشمل كذلك الأخطاء النحوية.[47] أما النقد النحوي، فهو نقد يتمحور موضوعه حول الأخطاء النحوية التي يرتكبها الشعراء القدماء، من حيث بنائه اللغوي وسلامة تركيبه، والنقد النحوي من أقدم أنواع النقد، فإن أول فساد للغة جاء من اختلال النحو والصرف عند الشعراء الإسلاميين، وبدأ الأخذ والرد بين الفرزدق وعلماء النحو في عصره،" وكانت في جذور الحركة النحوية رغبة أكيدة عند الموالي من العلماء في إظهار فضلهم على العرب حتى القدامى منهم، وكانت هناك محاولات عند بعض النحويين الأول للغض من الشعراء الجاهليين، ومؤاخذتهم على أخطاء نحوية ارتكبوها، وهم في محاولتهم تلك إنما يريدون أن يبرهنوا لعصرهم أن العرب ليسوا أفضل الناس، وأكملهم حتى في لغتهم".[48]

وفي كتب اللغة والأخبار أمثلة كثيرة ومشهورة من نقد النحاة الشعراء، ومحاولتهم إجبار الشعراء على احتذاء قواعد اللغة والإعراب، ومن أشهرها ما ذكره ابن سلام في طبقاته عن ابن يونس كيف كان ابن إسحاق(ت205ه) يتتبع أخطاء الفرزدق في شعره، فقد خطأه في قوله:

وعَضُّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلَّفُ.

فقال ابن إسحاق: "على ما رفعت(مجلفٌ)"، فقال الفرزدق:" على ما يسوؤك و ينوؤك". فقال ابن إسحاق: "إنما هي (مسحتا) أو(مجلفًا)، وكذا قياس النحو في هذا الموضع،[49] فغضب الفرزدق وقال:" لأهجونك ببيت يكون شاهدا على ألسنة النحويين أبدا، فهجاه بقوله:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مَوْلَى مواليًا.

فقال له عبد الله بن إسحاق:" أخطأت مرة أخرى، فإنما هي مولى موالٍ.[50]

لقد كان هذا الجيل الأول من النقاد اللغويين والنحويين يستخدم منهجا علميا في بحث الشعر ونقده، وقد تجاوز حدود النقد إلى تصحيح وتعديل كل شعر لا يخضع للنحو الذي كان في بداية نشأته، وقد أدى ذلك إلى إثارة كثير من الجدل والخصومات بينهم وبين الشعراء، فالنحاة قد آمنوا بسلطان أحكامهم النحوية حاولوا أن يفرضوا به وصايتهم على الشعراء، ويجعلوها مقياس المفاضلة بين شاعر وآخر، أما الشعراء فكانوا يتعالون على تلك الأحكام بدعوى صدور شعرهم عن الطبع والسليقة العربية الخالصة على هؤلاء المستعربين، فقال فيهم عمار الكلبي بعد تعييب بيت شعري له:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا..؟
إن قلت قافية بكرا يكون بيتُ خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنت، وهذا ليس منتصبا وذاك خفض، وهذا ليس يرتفع
كم بين قوم احتالوا لمنطقهم و بين قوم على إعرابهم طبعوا

---

[44] - أخبار النحويين: أبو سعيد بن المرزوبان السيرافي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1955،1، مصر ص45.
[45]- النقد الأدبي: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، مصر، ص376.
[46]-النقد اللغوي عند العرب، ص23.
[47] - تاريخ النقد العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، ص73.
[48]-نفسه، ص120.
[49] -طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني، القاهرة، ج1،ص17.
[50]- نفسه، ج1، ص21.

ما كل قوليَ مشروحا لكم فخذوا ما تعرفون، وما لم تعرفوا فدعوا.[51]

وكان عنبسة بن معدان الفيل مع علمه بالنحو واللغة وبصره بالأدب، يروي شعر جرير، فكان أكثر تخطئة للفرزدق، يلحن شعره، فهجاه الفرزدق في قوله:

لقد كان في مَعْدان والفيل زاجرٌ لعنبسة الراوي عليَّ القصائدا.

لقد وجد هؤلاء النقاد في شعر الجاهلين والإسلاميين مادة خصبة لممارسة نقدهم النحوي، قال ابن سلام:" كان الفرزدق يداخل في الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو"، وقال حبيب بن يونس:" لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة".[52] إن هذه الأمثلة وغيرها تؤكد تصدي النحاة لنقد الشعراء لغويا بناء على معرفتهم بنحو اللغة الذي استنبطوه من كلام العرب الفصحاء، فقد تمسكوا بقواعدهم، ورفضوا أن يتجاوزها الشعراء، لأن ذلك كان يمثل لهم مبدأ مقدسا يرتبط بحماية اللغة من الانحراف والضياع، والحفاظ عليها من التلاشي والاندثار، بل أكثر من هذا، فإن متأخري النحاة كانوا يعتزون بمقاييسهم النحوية في نقد الشعراء، والمفاضلة بينهم، وكانوا لا يعتدون في النقد إلا بآرائهم النحوية، وكلام أعراب البادية، وذلك لفصاحتهم، ونقاء لغتهم، وسلامة ذوقهم، أما آراء الرواة فلا يعتدون بها، لقلة علمهم بخبايا الشعر، وعدم فصاحتهم في نظرهم.[53]

خاتمة:

بناءً على ما تقدم نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن تجليات نسق علم الأصول كانت واضحة في نسق النقد اللغوي القديم بما لا يدع مجالا للشك لكونه إبنًا شرعيًا للعلوم اللغوية، و من صميم أصولها، فانعكس ذلك على نشأته وتطوره نظريا وتطبيقيا. ومن أبرز تلك التجليات العلاقة النسقية التكاملية بين علم أصول الفقه وعلم النحو اللذين نشآ في إطار النسق المعرفي العربي الإسلامي العام في القرن الهجري الثاني لكونهما كانا يصبان في البؤرة نفسها، ألا وهي خدمة النص الديني الشرعي المتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما أن هذا التكامل بين النسقين موضوع الدراسة يفسر هجرة المفاهيم والمصطلحات، والمناهج ،والأساليب العلمية من نسق معرفي إلى آخر في سياق عملية التدوين التي قامت على أساس الجمع والضم بين شتى حقول التراث العلمي والفكري العربي الإسلامي إلى حد يصعب معه وجود نسق معرفي خالص، كما يفسر، أي هذا التكامل النسقي أن أي خطاب فكري أو علمي لا يتم تشييده من فراغ، أو من ذاته فقط دون استفادته من حقول معرفية وعلمية مجاورة له، بل يوضح أيضا أن دراسة تلك الحقول المعرفية والعلمية لا تتم ولا تستقيم بعزل بعضها عن بعض، وإنما بالبحث عن الوشائج والعلاقات النسقية المتحكمة في تكوينها وتطورها داخليا وخارجيا تبعا للنسق المعرفي العام الذي تنتمي إليه، وهو نسق العلوم الشرعية واللغوية التي كانت، ومازالت تخدم النص الديني بمثابة مصدر التشريع عند عامة المسلمين.

المصادر والمراجع

1-أخبار النحويين : أبو سعيد بن المرزوبان السيرافي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1،1955، مصر.

2-أصول النحو، دراسة في فكر الأنباري : محمد سالم صالح، دار السلام، مكتبة لسان العرب،ط1،2006،مصر.

3-اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق ناصر عبد الحكيم عقل، دار اشبيليا، ظ2،1998، الرياض.

4 -الاقتراح في علم النحو : السيوطي، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط2،2006، مصر.

5 -الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين : أبو البركات الأنباري، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر.

6-البرهان في أصول الفقه (مخطوط محقق): إمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، جامعة قطر،ط1، 1399ه،قطر.

[51] -تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص187.

[52]-نفسه، ص182

[53]-نفسه، ص185.

7-الرسالة : محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي،1940، القاهرة.
8-الرواية والاستشهاد : د. محمد عيد، دار الشرق الأوسط للطباعة،1988، القاهرة.
9-المزهر في علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل وآخرون، مكتبة دار التراث، ط3، القاهرة .
10-المفصل في علم العربية : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق فخر صالح قدارة، دار عمار، ط1،2004، عمان.
11-المنهج الإسلامي في الجرح و التعديل : د. فاروق حمادة، دار المعرفة للنشر، ط2، 1989، الرباط.
12-النقد الأدبي: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، 2012،مصر.
13-لمع الأدلة في أصول النحو: أبو البركات عبد الرحمان كمال الدين بن محمد الأنباري، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2،1971، بيروت..
14-مناهج البحث عند مفكري الإسلام و نقد المسلمين المنطق الأرسطي: علي سامي النشار، دار الفكر العربي،ط1،1947،مصر .
15-نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس الهجري : د. أمجد الطرابلسي، ترجمة: إدريس بالمليح، دار توبقال للنشر،ط1،1993.
16-الإبهاج في شرح المنهاج (شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي): تاج الدين السبكي، تحقيق أحمد جمال الزمزمي و نور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية،ط1،2004،الإمارات العربية.
17-البحر المحيط في أصول الفقه: الزركشي، تحرير الشيخ عبد القادر عبد الله الهاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
18-الخصائص : أب الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمود علي النجار، دار الهدى للطبع و النشر، ط2، بيروت.
19- الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها وسنن العرب في كلامها : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، 1993، بيروت.
20-النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : د. نعمة رحيم عزاوي، دار الحرية للطباعة،1978، بغداد.
21-إيضاح المحصول من برهان الأصول : أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المارزي، تحقيق عمار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، تونس.
22-بنية العقل العربي (نقد العقل العربي2): د. محمد عبد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،1986، بيروت.
23-تاريخ النقد الأدبي عند العرب: عبد العزيز عتيق، دار النهضة المصرية،ط1972، بيروت.
24-تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري : د. داود سلوم، مكتبة الأندلس، مطبعة الإيمان، 1969، بغداد.
25-تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، دار إحياء العلوم، 1954، القاهرة.
26-تكوين العقل العربي (نقد العقل العربي): د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط8،2002، بيروت .
27-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
28-طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر/ مطبعة المدني، القاهرة.
29-مراتب النحويين: أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.